

السرد المضاد والمقاومة الثقافية، قراءة تأويلية في المجموعة القصصية "تقاسيم الفلسطيني" لسناء شعلائن

*Counter-narration and cultural resistance, an interpretive reading in « Takassim El Falesstini » "Features of the Palestinian", by Sana Shaalan*

طالبة دكتوراه / قادري آسيا

أ.د. عبد الفتيحة بارة

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة محمد أمين دباغين-سطيف 2 (الجزائر)

مخبر مناهج النقد المعاصر وقضايا تحليل الخطاب، جامعة سطيف 2

Kadriassia2017@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/12 تاريخ القبول: 2020/05/28 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص:

استعاد السرد القصصي الواقع المأساوي الفلسطيني وأعاد تمثيله لغة وتخبيلا، تمثيلا يبرز دوره في المقاومة الثقافية من خلال المجموعة القصصية "تقاسيم الفلسطيني" للمبدعة سناء شعلائن، ليقول السرد المأساة الفلسطينية بكثير من التفاصيل النصية التي تصدم القارئ، وتربك فيه محدودية معرفته المكتسبة عما يجري في فلسطين من محو وإلغاء ومأساة إنسانية....، يحيهاها الفلسطيني في واقعه المعاش اليومي، ليعيد القارئ صياغة تصورات جديدة عن العلاقة بين الآخر الصهيوني، والذات الفلسطينية المجروحة، مبنية على تجربة سردية مضادة لفعل تشويه حقيقة ما يجري في فلسطين.

من أجل الوصول إلى هكذا نتيجة، فإن السرد المضاد أو الرد بالكتابة مثلما اصطاح عليه بيل أشكروفت، يبرز كمنجز إبداعي يستدعي قارئنا متفاعلا، تفاعلا يكشف به عن الفضاء المائل في "تقاسيم الفلسطيني" وهو فضاء يتخذ لنفسه وضعيات سردية نصية تتمثل في "تقاسيم المعتقل، تقاسيم الوطن، تقاسيم المخيم، تقاسيم الشتات، تقاسيم العرب، تقاسيم العدو، تقاسيم البعث"، تحكي عن وطن مجروح تحت الظلم والمجازر...، وحين يقترن النص القصصي بهذا الفضاء الأكبر، ويجاري ما يحدث في الواقع الفلسطيني يتحول إلى ردة فعل سردية تدرك وفق سياق أوسع هو سياق التلقي، تتحقق فيه مقاومته النصية قراءة وتأويلا؛ فبين الانجاز والتلقي يأتي التأويل كروية منهجية نصية تسعى إلى استظهار دور السرد المضاد في بعث وإحياء المقاومة الثقافية ضد اغتصاب الإنسانية في فلسطين.

الكلمات المفتاحية: المأساة الفلسطينية، فعل القراءة، التأويل، السرد المضاد، المقاومة الثقافية.

**Abstract:**

The narrative recounted the Palestinian tragic reality and re-represented it both in language and illusion, a representation whose role in cultural resistance is reflected in the narrative series "Features of the Palestinian" by Sana Shaalan. The narration reveals the Palestinian tragedy in many textual details that shock the reader, and confuse his/her limited acquired knowledge of what is happening in Palestine, from eradication, elimination and human tragedy ... daily lived by the Palestinian, so as to let the reader reformulate new perceptions of the relationship between the Zionist Other, and the hurt Palestinian, being based on an anti-narrative experience that encounters the distorted reality of what is going on in Palestine.

In order to reach such a result, the counter-narration or response in writing, as Bill Ashcroft called it, stands out as a creative realization that calls for an interactive reader, in an interaction that exposes the present space in the "Takassim El Falesstini". It's a space that adopts many narrative textual positions, like: « the features of the homeland, the features of the camp, the features of the diaspora, the features of the Arabs, the features of the enemy, the features of the Baath "; all these tell about an injured homeland that is under oppression and massacres ... When the narrative text is associated with such a larger space, keeping up with what happens in Palestinian reality, it turns into a narrative reaction, that is perceived through a broader context, which is the reception, in which its textual resistance is realized both in reading and interpretation. Hence, between achievement and reception comes the interpretation as a methodical textual vision, seeking to memorize the role of counter narratives in the revival of cultural resistance against the rape of humanity in Palestine.

**key words:** The Palestinian tragedy, the act of reading, interpretation, counter narration, cultural resistance.

تمهيد:

إن وجود النص القصصي "تقاسيم الفلسطيني" وجوداً قرائياً، مرهون بمدى ارتباطه بالواقع الفلسطيني، وتوغله في تمثيله لسياسات الإقلاع، والمحو من الأرض المغتصبة؛ فهذا الواقع المأساوي يدفع بالنص إلى التعدد، والاختلاف، والتشخيص الزمني ضمن مسارات سردية تتعدد في صوغ أسئلة الوجود الفلسطيني (الوطن، الهوية، التاريخ، الشتات، الحرية...) بحثاً عن عالماً تتحقق فيه المقاومة سرداً وتخيلاً، من موضع الاعتراف والاحتجاج على العنف الذي يمارسه الآخر/ الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني.

ذلك هو الهدف المحرك للكتابة في نص تتشابه فيه التفاصيل الواقعية التي تجري إلى إحداث تشكيلة فنية دينامية تحدث نوعاً من استعادة الحقيقة من زيف المستعمر؛ فالنص "تقاسيم الفلسطيني" بتعددته يستجيب للواقع في بعده التخييلي والواقعي اليومي المعاش، إلا أن الممارسة التخيلية لا تعني البتة أنه يعيد استنطاق الواقع على أرض تُنافي ما يحصل في فلسطين، وإنما هو تحفيز لرؤية مؤكدة ومغايرة تنشد تأكيد الحقيقة في صورتها الواقعية التي لم يستوعبها التاريخ الرسمي بعد.

يهدف النص "تقاسيم الفلسطيني" بإمكاناته الإبداعية، والتخيلية إلى المواجهة النصية، التي تكشف عن اتساع أفق السرد في استيعاب الحياة الفلسطينية بإشكالاتها وهمومها، وطرحها طرحاً نقدياً في ظل كتابة مضادة لا تقبل الواقع إلا في إطار إعادة النظر، والمراجعة نحو رسم الحقيقة في صور أكثر واقعية، يلتحم فيها المتخيل كهاجس للردّ على الآخر، ومواجهة عدوانيته، وفضح مكائده الكولونيالية؛ فالسرد هو الوساطة النصية بين الإنسان والذات والعالم والأشياء، وهو الذي ينقلنا من حيز الجمود إلى حيز الاعتراف. من هذا المنطلق يأتي السؤال مؤداً: كيف تحضر فلسطين الواقعية التاريخية على أرض السرد؟ كيف يسمعنا السرد صوت الفلسطينيين المجروح؟ كيف يمارس النص القصصي "تقاسيم الفلسطيني" مقاومته النصية في ظل قيود سلطة الآخر المهيمنة؟

#### تفاعلات العنوان واشتغال التأويل:

يعلن المنجز القصصي "تقاسيم الفلسطيني" بدايات وجوده الإبداعي السردية بوساطة العنوان، فهو الكينونة النصية القائمة على غاية تحقيق تمايزه الأجناسي الأدبي ضمن السياق الثقافي الإبداعي، وتحقيق التواصل بين القارئ والنص؛ وذلك بنوعه نحو التميز والتفرد الذي يعمل على توجيه الممارسة التأويلية نحو الاستقصاء والبحث عن دلالاته اللغوية والنصية، وإقحام القارئ إلى عوالم النص الممكنة، التي ترفض أن تتحقق قراءة إلا في ظلال العنوان؛ لأنه ((العتبة التي تشهد عادة مفاوضات القبول والرفض بين النص والقارئ فيما عشق ينبجس -

وتقع لذة القراءة - وإما نكوص، لیتسید الجفاء مشهدية العلاقة<sup>1</sup>) فالنص يقترن بالعنوان بغية تحقيق وجود قرائي، يبعث على إعادة بناء تأويليا تواصليا بينه وبين القارئ، ليتحول العنوان بهذه الصلة النصية إلى سؤال يتطلب حثيثا وبقوة المتخيل التقصي عنه لغويا ونصيا وثقافيا، فكيف يتحقق قراءة وتأويلا؟ وكيف يسمعنا عنوان "تقاسيم الفلسطيني" صوت فلسطين؟ وما علاقة العنوان بالمقاومة النصية؟

إن مراودة العنوان عن نفسه، والوقوف عند تفاصيل تركيبه اللغوي، يؤدي بالقارئ إلى الإصرار على التوغل في حمولته الثقافية، وخلفياته التاريخية، لتعميق معرفته به وبالنص، بغية اللوج داخل النص وإنشاء علاقات تواصلية يتحقق بها النص قراءة وتأويلا؛ فالعنوان والنص كلاهما يشكلان بنية متكاملة للعمل الأدبي، وقد لا يفهم النص إلا من خلال ربطه بعنوانه، حتى يكون منطلقا لتفسيره أو التفسير به؛ بمعنى أن العنوان قد يكون مفسرا بالنص أو مفسرا له في آن معا، لتغدو العلاقة بينهما علاقة تكاملية تفاعلية<sup>2</sup>، تفرضها القراءة التأويلية كسبيل يتحقق به النص وجوديا.

تحدد البنية اللغوية للعنوان "تقاسيم الفلسطيني" ضمن تركيب إسنادي بين حضور المسند "تقاسيم" وغياب المسند إليه، يمكن للقارئ أن يضعه بعد إكمال قراءة النص، هذا ما يحمل القارئ على تفكيك بنية العنوان التركيبية، والنظر في دلالاته المعجمية؛ لأن مفردة "تقاسيم" هي جمع لكلمة "تقسيم"، يقال أشرف القاضي على تقسيم التركة: أي على توزيعها، تقسيم البلاد إلى أقاليم: أي تجزئتها، في حين تحمل دلالة معجمية أخرى، وهي تقاسيم الوجه: أي معالمه، وملامحه الدالة<sup>3</sup>، إن كلمة "تقاسيم" لم تتخل عن ماضيها المعجمي هنا، وإنما عملت على تثبيته في تركيبية استثنائية حين اقترنت بكلمة "الفلسطيني"، التي تأتي مثقلة بدلالاتها التاريخية المتجذرة في عمق جغرافية معينة، ضمن سياق إنساني عالمي تتعلق به مختلف الشعوب المقهورة، بحثا عن نموذج للمقاومة والصمود تقتدي به للدفاع عن وجودها أمام أشكال القوى الكولونيالية المهيمنة.

يحتفظ العنوان "تقاسيم الفلسطيني" براهنه بين تحيين دلالاته المعجمية، ودلالة سياقية نصية ذات الزخم التاريخي الواقعي؛ وهو علامة على كينونة منفردة، وهوية نصية قائمة على هاجس إعادة تعريف مروية فلسطين بديلة، ومضادة للسرديات الكبرى الصهيونية المزيفة التي تتقصد محو الحقيقة، وإحلال مكانها صورة ثقافية مشوهة مبنية على النظام الكولونيالي الصهيوني؛ حيث يعطل عنوان النص "تقاسيم الفلسطيني" كل ما قيل عن فلسطين "فلسطين

إسرائيلية"، ويعيد امتلاك فلسطين الوطن والمقاومة والصمود... فهما وتأويلا، وفق استراتيجيات نصية توجه القراءة نحو أفق تأويلي مغاير، إنه أفق التجربة البشرية المعاشة التي يحتضنها العنوان ويدخل معها في علاقة تصادم قوية، تعيد تحوير الواقع وفق علاقة اتصالية تفاعلية تومئ وتشير إلى ذلك الفلسطيني وما يكابده من ضروب القسوة والاغتراب والشتات والاقتراع والألم، فعالمه لا يخرج عن إطار ((وطن تم شرخه، ومعتقل هو درب كل من قال وطني فلسطين، ومخيم عنوان إقامته، وشتات وتمزق، وعدو مترص، وأخ عربي ضمير مستتر، ليعمل الفلسطيني على بعث فكرة الخلاص ويفسح باب الأمل من جديد)). وكلها عناوين فرعية تؤسس لتقاسيم النص، وتتخذ وضعيات سردية تجعل منه شيئا بمكعب أو جسم في الفضاء، ينظر إليه من زوايا قرائية مختلفة فلا تظهر موضوعات النص ولا عوالمه المقترحة إلا وفق تضاريس، وأقاليم متنوعة وعبر مستويات متعددة في الارتفاع<sup>4</sup> والتلقي.

هكذا يفرض عنوان النص "تقاسيم الفلسطيني" أعمق فعالية تلقى ممكنة وهو يجسد أعلى اقتصاد لغوي للنص؛ لأن النص اقترن بهذا المسمى المحدّد -مع ما تتيحه اللغة من إمكانات أخرى في التسمية غير محدودة - بغبة التعبير عن النزوع العميق للسيطرة على العالم<sup>5</sup> وإحداث نوع من التواصل مع القضية الفلسطينية التي لا تجد من يتبناها، فوق التسمية تحمل المتلقي إلى تلك التفاصيل المنسية التي غفل عنها محكي التاريخ، وتدعوه إلى استيعابها في صورة حية تروي عن الفلسطيني الذي ظل يستعيد وطنه كل يوم من واقع مهزوم مهزوز، ويفرض عليه كل أصناف التحدي حتى ينال الاعتراف بحضوره إنسانيا وثقافيا<sup>6</sup>.

إن غاية تسمية النص بـ"تقاسيم الفلسطيني" هي إخراج القضية الفلسطينية إلى حيز أوسع هو حيز المشاركة الإنسانية، والإنصات إلى الحقيقة المسكوت عنها، ((فنحن نحاول تسمية شيء ما باسم معين، لا لكي يعدو مألوفا بالنسبة لنا، بل لكي نجعله خاضعا لنا بصورة هي الأصح))<sup>7</sup> وهذا الخضوع يجعل العنوان ينطق بوعي وإحساس عن العالم الذي تأصل منه النص، وهو عالم المهمشين والمقموعين الفلسطينيين، أو أولئك الذين أزيحوا عن أرضهم ووقع عليهم الظلم وتم نفيهم وإبعادهم... من قبل الأخر الصهيوني، و((الصهيونية ما هي إلا ممارسة كولونيالية، اعتمدت العنف، والتهمير والاقتراع؛ ولهذا كانت السردية في وضعية تقابلية لتفكيك هذا الخطاب وتعريته))<sup>8</sup> فضحا للممارسات الصهيونية غير الإنسانية، من أجل ذلك أو من أجل استرجاع "فلسطين السلبية"، تم فرض النص "تقاسيم الفلسطيني" كممارسة كتابية إبداعية دفاعية، ضد كل أشكال المحو، وكشف الممارسات غير إنسانية التي تمارس ضد الفلسطيني، واستحضار كل أنواع المواجهة والمقاومة الثقافية والإنسانية... فالعنوان بهذه

التشكيكية يمثل بنية افتقار حادة لا يمكن للقارئ فهمه بعيدا عن نصه، لتتحدد العلاقة بين النص والعنوان أكثر في توزيعية العنوان عبر نصه وكثافة النص في عنوانه، الذي ((يؤسس لمعان متقاطعة بين ماهو ظاهري وباطني، يغذي القراءة والتأويل، باعتباره علامة ثقافية ومعرفية ودليلا يحقق للنص جنسه ضمن المؤسسة الأدبية))<sup>9</sup> ويورطنا بشكل أساسي للتساؤل على نحو: كيف تحضر فلسطين في هذا النص؟ وكيف يمارس النص القصصي "تقاسيم الفلسطيني" مقاومته النصية؟ وكيف يكفل السرد للقضية الفلسطينية دوام التنفس والتحقق؟

### تقاسيم الفلسطيني ومحكي المقاومة:

تستهل تجربة الحضور السردى لفلسطين بإهداء، تتوجه به المبدعة "سناء شعلان" إلى فلسطينيين-الذين لم يعرفوا سوى الشجاعة- من أجل تثبيت فعل المقاومة في إصرار على مواجهة نصية، تستحضر فيها ملامح أشخاص مقربين، لا تعرف ملامحهم سوى عناصر المجاهدة والصمود والتصدي، لتجسد بداية حضور الوطن بداية يستند عليها فعل القراءة اكتشافا وتصحيحا لمسارات التأويل، تقول المبدعة ((إلى أمي الفلسطينية العاصمة الأبدية لقلبي التي علمتني معنى الصبر والصمود والعطاء والشجاعة، إلى مدين فضيلات الوجه الفلسطيني الذي لا يعرف الانكسار في زمن الردة، إلى عطا الله الحجايا قلب فلسطيني شجاع لا يعرف الخوف أو الهزيمة))<sup>10</sup> هذا الإهداء بإيحاءاته يترفع عن كل أشكال الهون التي يمكن أن تلتحق بالفلسطيني، وهو الذي عاش فاجعة النكبة، والنكسة، واستوطن الشتات، وصارع الانمحاء، وبقي صامدا في مواجهة مستميتة، خاضعا لمنطق الصراع من أجل الاعتراف والحضور الإنساني والثقافي؛ فلا شك أن استهلال النص بإهداء يعلن فيه عن حضور فلسطيني مضاد لتلك المساعي التي تسعى إلى طمس وإلغاء كلمة "فلسطين"، يدفع عنه كل أشكال المصادرة الثقافية؛ لأن ((مصادرة أنماط الوجود الفلسطيني جغرافيا وسياسيا مما يعدّ شديد الارتباط بالثقافة، ..) سواء، أكان في الأدب أم في الإبداع العام، فثمة مساع واضحة لاستبعاد الصوت الفلسطيني من قبل الصهيونية))<sup>11</sup> والإهداء بهذا المستوى يأتي لتحرير الصوت الفلسطيني من كل أشكال التغييب، فيمنح للقارئ قدرة على استئناف القراءة، والكشف عن دلالات الحضور الفلسطيني في السرد، وهي سمة النص المفتوح الذي يقدم التأويل بوصفه آليته الملموسة<sup>12</sup>، ولكن بأي معنى نفهم هذا الوجود السردى لفلسطين؟

يبني النص "تقاسيم الفلسطيني" هويته السردية من رفات الموتى، واغتيال الأطفال، وصراخ الأجنحة، وعذاب الأيتام والأرامل... ويسمعا الصوت الفلسطيني من عمق المأساة، فهو ((لا ينتظر الحدث لأن يتكون أولا في المجتمع حتى يسجله أو يعكسه أو يروييه لاحقا بل هو يواكب حدوثه ليكون الصانع الأمهر في تشكيله وليكون عاملا فاعلا فيه لأنه يتجذر فيه أصلا))<sup>13</sup> عن حضور مرئي وواقع يومي معاش يتحدى به القمع الاستعماري الذي يسعى إلى إسكات الصوت الفلسطيني، فتتجلى سرديات الوجد اللامتناهي ويكون النص "تقاسيم الفلسطيني" ((..هو الشاهد الإجباري على دموع الفلسطينيين وأحزانهم وآلامهم وحصارهم وجوعهم وتعذيبهم..))<sup>14</sup>؛ إذ تندفق القصص بتفاصيلها عبر كثافة سردية تترك القارئ وتشوش عليه قدرته في استيعاب تجربة النص وسياسة تمثيله للواقع، بنقله إلى حيوات لم يعهدها، حيوات تتعالى عما قاله التاريخ، وتستعيد الواقع الفلسطيني وفق أفق تجربة نصية تتصدى للعبث الاستعماري باستحضار كل أشكال العنف من ذبح وتنكيل واغتصاب وتهجير ونهب وتدمير... ويرويهما النص بتفاصيل تنبئ عن تحدي فلسطيني يسعى إلى الملمة أشلائه وتجاوز مرحلة الصدمة الكبرى بابتكار أنواع جديدة من النضال يبدن فيها السرد مسارا مضادا لسياسات الاستعمار.

هذا ما يدفع القارئ إلى توسيع أفق القراءة لتحقيق تواصله بالنص، واكتشاف خباياه وفق استراتيجيات نصية يقترحها النص على قارئه، وتلك سمة النص الحيوي والمتفاعل على أنه يجر قارئه مع كل مستوى من مستويات قراءته إلى التعمق والتدبر في متاهات دلالاته التي يقترحها عبر ((فجواته ومناطق الغياب فيه بوصفها مداخل إغراء وغواية، فتتعدد بها قراءة/كتابة/نصوصا لا تنتهي))<sup>15</sup> هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقذفنا النص "تقاسيم الفلسطيني" على عالم خارجي بقوة وتعدد وكثافة ما يروييه.

يتمرد النص ويروي وقائع منسية بكثير من التفاصيل التي أسقطها التاريخ وسكت عنها في زيف وتصغير لحجم معاناة الفلسطيني، واستعادها النص تخيلا وانتفاضة على كل أشكال الاضطهاد الصهيوني، فيضع قارئه ضمن مجرى سردي متعدد غير منقطع، في حركة تفاعلية تصاعدية بينه وبين قارئه؛ حيث يتواجه القارئ بصوت ضحايا فرض عليهم الموت بطريقة مأساوية، مثلما نقرأ عن قصة "الجنين": ((لم يعرف الجنين (..) لم شق سكين حاد غلالتة الفضية الشفافة بعد أن بقر بطن أمه، فانزلق خارج رحمها الدبق الدافئ مشدوها عاريا، (..) كانت أمه تفارق الأرض بزفراء متسارعة بعد أن قطع جندي صهيوني متوحش ثديها الأيمن بضربة جديدة من سكينه الوحش، ثم بقر بطنها لينتزع جنينها من مكين أحشائها..)) داسته

أقدام الجنود عصابات الصهاينة، وكان آخر عهده بالدنيا نظرة عجلى استرقها من سجوده الإيجاري على الأرض، وهو يرى أهل قريته في البعيد يغيبون خلف الأفق تطاردهم فلول المداهمين المتوحشين، والغروب الدامي يحتضن بأسى أباه الذي دلف إلى جنون أسر بعد أن خلع عقله في دقائق لفضاعة مرأى مقتل زوجته وجنيها، كان يردد دون توقف: قتلوا زوجتي (صباحية) وبقروا بطنها. يحاول الجنين أن يصم شفثيه ليستنجد بأبيه (..). لكن الموت يعاجله بنزعه من اختناقه بحزنه وألمه، ويرحمه من جحيم قادم اسمه الطرد من وطنه.<sup>16</sup> هذا مشهد متجذر في واقع أفرزه الفعل الاستعماري الصهيوني الذي أراد دوماً أن يؤسس لنفسه هيمنة تكبل الفلسطيني، وتعلن عن موته وانسحابه والتخلي عن أرضه، وتزرع اليأس في عودته إلى وطنه، وفرض على الفلسطيني العيش في عالم الشتات، عالم معلق بين الماضي والحاضر، بين الحرية والقيود، وبين الجرح وإلتامه، ليلتقط الفلسطيني أنفاسه بسرعة ويللم كل ذلك في تجاوزه للصدمة الكبرى بوعي وطني انتقل به من مرحلة اليأس والتفجع إلى مرحلة المقاومة والتمرد، هكذا يفتح النص "تقاسيم الفلسطيني" على منظومته التاريخية بتعالقه بواقع يحتفي بالسرد ويروي ما لم ينسى ولن ينسى؛ لأن السرد هو الأقدر على توصيف هذه المأساة.

يتحيز النص إلى فرض سردية بديلة عن التغيب الذي فرض على الفلسطيني، ويستحضر كرد فعل على كل من أراد إنهاء فكرة "فلسطين"، والدخول معه في سردية مضادة لا تخضع إلا لواقع منسي بغية إحيائه في كنف النصية والاختلاف، حفاظاً على وطن اسمه "فلسطين" لا يطاله المحو والنسيان أمام الاقتلاع والتهجير؛ فيخترق النص موقعا يتيح للفلسطيني إسماع صوته في موطن الشتات والمنفى، تحدياً لفعل الإزاحة والاقتلاع مثلما نقرأ في قصة "قطارات" ((التقوا على قارعة سفر ودروب افتراق كما يلتقي الفلسطينيون عادة، أتوا من كل وطن إلا من وطنهم الحقيقي، كي يقطعوا ساعات الانتظار في محطة القطارات حكوا قصصهم التي تبدأ جميعها بالانتساب الدقيق إلى أرض ما من أرضهم الأم، وعندما أرف وقت الرحيل (..) قبض كل واحد منهم على جواز سفره الذي يكرس غربته، ويرسم أحزانه على شكل جنسية ما حصل عليها في آخر رحلة الطواف والتشرد والضيق، تراهنوا على عدم البكاء حزناً على فراقهم الجديد، وابتسموا على مضمض، وتصنعوا اللامبالاة، واتفقوا على أن يلتقوا ذات فرح في وطنهم فلسطين...))<sup>17</sup> ينهض المشهد على تلك المرجعية التاريخية -والراهنة أيضاً- لقصة الشتات الفلسطيني، التي تطرح نفسها بوصفها تمثيلاً سردياً في المتخيل عن واقع معيش مأساوي تحياه مجموعة بشرية تم تهجيرها وإبعادها عن وطنها؛ حيث أجبر ملايين من الفلسطينيين الأبرياء الحائرين على مغادرة وطنهم بالقوة أثناء نكبة 1948، لتتبع موجة قوية أخرى من التهجير القسري بعد نكسة 1967، وانتشروا في أمكنة ترفض الانتماء والاندماج فيها،

إذ يأخذ النص "تقاسيم الفلسطيني" على عاتقه صوغ مروياتهم خوفاً من أن يستحوذ النسيان على الذاكرة الفلسطينية؛ لأن ((..الأمر لا يتعلق باحتلال الأرض، وقتل سكانها، وطردهم فقط، إنما يتجاوز ذلك إلى محاولة نفيه، ومصادرة كل ما يتصل به تعبيرا، ولغويا، وهكذا يتحقق المحوان: الفيزيائي والمعنوي (العلاماتي)... ففلسطين يوما بعد يوم تتآكل على مستوى الأرض التي تحولت إلى قطاعات منفصلة إذ تشرذم شعبيها، وتشتت في غير مكان، ما يعني أن ثمة ((تشتيتا)) لفلسطين، وكل ما يتعلق بها))<sup>18</sup> من أجل دفع هذا المحويبقى الفلسطيني رهين التعلق بأمل العودة إلى الوطن.

فهذا الواقع المعيش المتشرذم/"الشتات" الذي لا حدود لشقائه يدفع بالذات المبدعة المجروحة إلى كتابة إبداعية سردية تستنطق فيها تساؤلاتها الوجودية "الهوية والحرية والانمحاء، النسيان والذاكرة، الوطن والتاريخ.. حتى تغدو الحياة معها ((نصا ينجح بالقدر الذي يكتب وكذا النص حياة بالقدر الذي يؤول))<sup>19</sup>؛ ولما تستوعب اللغة الإبداعية الحياة في بعدها الإشكالي تصبح فعلا تأويليا بامتياز، غايته تأسيس عالم إبداعي يوازي الحياة ذاتها، والحياة لما تغدو في ضيافة اللغة تصبح منجزا نصيا قابلا للقراءة والتأويل، اللذان يعملان على سرد الحياة متخيلا وواقعا بناء على علاقة تواصلية بين القارئ والحياة والسرد.

تستحضر فلسطين من موقع السرد والتمثيل بحثا عن قيمة المكان المفقود بفعل الإكراه؛ لأن الفلسطيني ((لن يبارح معنى الوطن، وسوف يعيد إنتاج خطابه حول التمثيل، والواقع، وبينهما تكمن فلسطين، وحيرة الإنسان الفلسطيني القابع في الممر الأخير، والمتأمل أن ينتهي في يوم ما للخروج منه))<sup>20</sup> وحتى ذلك الحين يظل الوطن قابعا في ذاكرة المقتلع مستحوذا على روحه، يناشده في موته وحياته ويطلب الفلسطيني الرجوع إليه، مثلما نقرأ في قصة "موت": ((جدته لأبيه حيرته دائما بشخصيتها المتدمرة من كل شيء، لم يعجبها في يوم طعام أو شراب أو ماء أو هواء أو لباس أو معشر أو منظر أو بشر في مهاجرها التي ساطت غربتها، وكوت نفسها ضياعا ومعاناة ووحدة وقلقا، ظلت تقول جملتها الشهيرة: كل شيء في فلسطين أجمل. عندما مرضت أقسمت على أبنائها وحفدتها وأنساها أن ينقلوها لتموت في فلسطين قائلة: الموت في فلسطين أجمل. وعندما خاضت سكرات الموت أوصت الجميع بأن يدفنوها في فلسطين قائلة بثقة من رأى اليقين في لحظات النزاع: الأرض في فلسطين أحسن على أجساد أهلها))<sup>21</sup> في كنف هذا الصراع يؤرخ الفلسطيني حياته بأزمة مغايرة، هي أزمة النكبات فيفرض بذلك تاريخه الخاص، الذي لا يستطيع أن يخرج عن تلك التواريخ التي تنسب لوجعه، وألمه و التي كتبت بدمه وهمه وحزنه، فالتاريخ الفلسطيني يتلقف كل أزمات الفلسطيني

ويستحوذ عليها ويضعها ضمن إطار التذكر استعادة لوطنه حتى لا يفقد الفلسطيني هويته الفلسطينية ولا يموت على أرض منسية ليس لها ذاكرة تاريخية تسجل فيها كفاحها وهي تحقق الخلاص بالاسترجاع "فلسطين" مثلما نقرأ في قصة تواريخ: ((جدته تؤرخ أزمائها بالنكبات والمصاب، كلما أراد هو وإخوته وأبناء عمومته أن يداعبوها، وأن يخرجوها من أجوائها الصوفية التعبدية التي تعيشها منذ أن استشهد ابنها الأوسط على أيدي الصهاينة، يسألونها عن أي مناسبة عائلية، لتؤرخها لهم بمأساة من مآسي الفلسطينيين. الأحداث جميعها في ذهنها مرتبة وفق نكبات الفلسطينيين يحاولون أن يتلاعبوا بتاريخها المأساوي، فيختارون حدث ولادة حفيدهم الأخير، ويسألونها متى كان ذلك؟ (..)) أنا أحفظ متى استشهد أولادي، وأنتم عليكم أن تحفظوا متى ولد أبنائكم))<sup>22</sup> هذا مسعى كل فلسطيني يؤرخ للذات وللوطن في بوتقة ذاكرة جمعية جديدة حية تلتصق بأمل الخلاص كجزء من الهوية الفلسطينية تفرض إرادة المقاومة التي تجري إلى مواجهة الآخر في صمود وتحدي لا يقنعه ولا يوقفه في ذلك إلا بالظفر بحقه.

من موقع المقاومة الثقافية يخوض النص "تقاسيم الفلسطيني" معتركا سرديا ينهض على رسم ملامح الفلسطيني وهو يسترجع أنفاسه لمواصل مسعاه إلى مقاومة الآخر واستبدال شناعة الموت والتدمير والإبعاد بقوة المقاومة التي تتأسس على وعي ثقافي يحملها النص في تضاعيفه لإخراج الوطن من مأزق فرضه الآخر إلى أفق الكفاح والمقاومة، فالفلسطيني -مثلما جاء في قصة نضال- ((يعرف في الحياة إرادة واحدة تسكنه، وهي أنه يريد أن يحرر فلسطين من الصهاينة الذين يسميهم أولاد الحرام(..)) هو يختص الفكر كله في جملة واحدة: سآحارب أولاد الحرام حتى يخرجوا كالكلاب من وطني فلسطين أو يموتوا فيها. لم يمارس في حياته شيء سوى القتال لأجل فلسطين، أشغله ذلك عن الزواج والعمل والحلم، بل أشغله عن نفسه وعن الهرم إلى أن أدرك الموت في عملية فداية نسفت جنودا ومعسكرا، في آخر لحظة له في الحياة قبل أن يسكن للموت حدث نفسه بسعادة قائلاً: لقد حاربتهم حتى ماتوا فيها))<sup>23</sup> هذا المشهد يزعج بالقارئ إلى التعرف على أطراف فاعلة في النص القصصي "تقاسيم الفلسطيني" وهي شخصيات فلسطينية لا تتحدد صفاتها إلا ضمن فضاء سردي مضاد تأكيداً على فعل المقاومة، وفكا لقيود الظلم الذي يترنح دوماً إلى التخاذل، مثلما يحدث في قصة "نهر بارد" ((هاهو عالمه وسعيه وسنين طويلة من عمره يهزأ أمام عينيه مع انهيار منزله. يجلس على كرسي خيزران أعرج القدم ملوح اللون من شمس طرفته لسنين، يشرع يدخن سجائره، لا يأبه بأحلام أو ندم أو حزن، ويشرع يفكر في خطة محتملة لبناء بيت جديد في زمن قادم، فهو لا يقبل بالخسارة أبداً))<sup>24</sup> هذا هو الفلسطيني، وتلكم هي ملامحه وتقاسيم حياته اليومية التي تتأرجح بين ثبات وعزيمة تتصاعد يوماً بعد يوم، وتجري إلى تحقيق مقاومة تحفظ له وطنه وتدفع عن فلسطينيته كل

أشكال الانمحاء؛ لأن المقاومة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو الصهيوني العنصري الامبريالي<sup>25</sup> وهي بفعل قوتها وتعددتها تندرج ضمن سياق سردي يضمن للنص هويته الإبداعية، وتكون قاعدة للفهم والتأويل.<sup>26</sup>

#### خاتمة:

في ختام هذه القراءة التأويلية تبين: أن النص "تقاسيم الفلسطيني"، قد انفراد وتميز بطرح القضية الفلسطينية طرحا استثنائيا، تم ذلك بفضل ما اقترحه من عوالم ممكنة، تعالقت عبر المتخيل بواقع أليم، صحح بوساطته مسارات المقاومة التي أفضى بها النص من خلال تشكيلاته السردية، ورؤيته للواقع الفلسطيني الذي تموقع بين إصرار الفلسطيني على مواجهة الآخر ودحض كل أبعيجه، وبين حماية الهوية الفلسطينية من الانمحاء، في ظل المقاومة الثقافية التي أريد بها بعث فكرة الخلاص، التي تعد جزء من الهوية الفلسطينية على نحو ما عبرت عنه شخصيات النص القصصي "تقاسيم الفلسطيني"، هذا ما أملى على القارئ توجهات قرائية مكنته من بناء معنى وفق تجربة قرائية اقترحها النص واستوعمها القراءة فهما وتأويلا.

#### الإحالات والهوامش:

<sup>1</sup> خالد حسنين حسنين، في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين سوريا، دط، ص:6.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الحميد بوختالة، قراءة في عناوين قصص (اللجنة عليكم جميعا)، ضمن كتاب (النص والظلال) فعاليات الندوة التكريمية حول السعيد بوطاجين)، منشورات المركز الجامعي خنشلة، جوان 2009، ص:167.

<sup>3</sup> معجم المعاني. تقاسيم الوجه. تاريخ الاطلاع: 03 جانفي 2020، <https://www.almaany.com>.

<sup>4</sup> بول ريكور، من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، ترجمة: محمد براءة وحسن بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2003، ص:155/139.

<sup>5</sup> إبراهيم محمود، صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا، ط1، 2000 ص:43

<sup>6</sup> ينظر: رامي أبو شهاب، في الممر الأخير (سردية الشتات الفلسطيني منظور مابعد كولونيالي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2017، ص:13

<sup>7</sup> إبراهيم محمود، صدع النص وارتحالات المعنى، ص:42

<sup>8</sup> رامي أبو شهاب، ص:344.

<sup>9</sup> شعيب حليفي، في العتبات وبناء التأويل في الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر،

2004، ص:6

<sup>10</sup> سناء شعلان، تقاسيم الفلسطيني، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص:5

- <sup>11</sup> رامي أبو شهاب، ص: 20
- <sup>12</sup> بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص: 117
- <sup>13</sup> إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، دار الآداب، لبنان، ط1، 2006، ص: 9
- <sup>14</sup> تقاسيم، ص: 65
- <sup>15</sup> عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقل تأويلي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص: 13
- <sup>16</sup> تقاسيم، ص: 26
- <sup>17</sup> تقاسيم، ص: 119
- <sup>18</sup> رامي أبو شهاب، ص: 20
- <sup>19</sup> حاتم الورفلي، بول ريكور (الهوية والسرد)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع تونس، دط، 2009، ص: 61
- <sup>20</sup> رامي أبو شهاب، ص: 344
- <sup>21</sup> تقاسيم، ص: 121
- <sup>22</sup> تقاسيم، ص: 21
- <sup>23</sup> تقاسيم، ص: 32
- <sup>24</sup> تقاسيم، ص: 104
- <sup>25</sup> مصطفى عبد الغني، المقاومة والمنفى في الرواية الفلسطينية، دار الكرز للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط1، 2012، ص: 5.
- <sup>26</sup> ينظر: عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة (دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة) الدار العربية للعلوم، بيروت/لبنان، ط1، 2007، ص: 12.

## ثبت المصادر والمراجع:

### 1- المصادر:

سناء شعلان، تقاسيم الفلسطيني، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015.

### 2- مراجع باللغة العربية:

خالد حسنين حسنين، في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين سوريا، دط.

عبد الحميد بوختالة، قراءة في عناوين قصص (اللجنة عليكم جميعاً)، ضمن كتاب (النص والظلال) فعاليات الندوة التكريمية حول السعيد بوطاجين)، منشورات المركز الجامعي خنشلة، جوان 2009.

إبراهيم محمود، صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا، ط1، 2000.

رامي أبو شهاب، في الممر الأخير (سردية الشتات الفلسطيني منظور مابعد كولونيالي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2017.

شعيب حليفي، في العتبات وبناء التأويل في الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، 2004.

